أفق مفتوح

# السيد حسن .. واستراتيجية التحرير

ناهض منير الريس

ألقى السيد حسن نصر الله غداة اتفاق الدوحة ، خطابا هاما . وكل خطب نصر الله هامة وذات صدقية عالية وجاذبية لدى السواد الأعظم من الناس على خلاف الموقف الشعبي الواضح من جميع ما يصدر عن الأنظمة وأقطابها بما في ذلك مؤتمرات القمة . . واشتمل الخطاب على شيء معهود في تجليات الحس السياسي والممارسة عند هذا القائد الموثوق الذي قاد بصحبة المعارضة اللبنانية معركة الوضع اللبناني الداخلي وإصلاح الحكم . وانعقد الفوز فوق عمامته مجددا إذ حصلت المعارضة على مطلبها في شأن ( الثلث المعطل ) أي إقرار اشتراط المعارضة مشاركتها في الحكم وتجميد الصراعات الداخلية على أساس منح المعارضة في المجلس الوزاري القادم نسبة في تمثيلها تضع في يدها ضمانة ضد استبداد أكثرية تؤمن بالنهج الأمريكي وتتذيل للسياسات الصهيو . أمريكية في المنطقة . وهي نسبة ثلث أعضاء مجلس الوزراء وفقا لمواضعات الدستور اللبناني .

لا شك أن هذا الانتصار السياسي راجع إلى الحنكة السياسية والمرونة والصدق والحيوية الميدانية معا لدى قائد لا تتوقف الأجهزة السرية الإسرائيلية عن التآمر لقتله ولا يكف عن تحديها . لقد تراجعت وباخت مؤقتا على يد السيد نصر الله جميع المخططات الإسرائيلية في لبنان . وكذلك مخططات الولايات المتحدة الأمريكية . ولم يكن ذلك الانتصار ممكنا لولا الحقائق التي وضعتها المعارضة على الأرض ( وكلمة المعارضة هي التعبير اللبناني عن

المقاومة والممانعة) . وأول تلك الحقائق الحلف الوطيد بين حزب الله في الجانب الإسلامي وبين الرجل الكبير العماد عون وحزبه في الجانب المسيحي . وحقا إن عون رجل كبير بمواقفه وإنه ضمانة وطنية لبنانية كبرى ضد الاختراقات الإسرائيلية القديمة المتجددة في لبنان . وليس حسن نصر الله وميشيل عون وحدهما ولكن هناك صفوف من الوطنيين والإسلاميين والقوميين الشرفاء تتراءى لنا ومنهم وجوه عمر كرامي من السنة وفيصل أرسلان من الدروز وسليمان فرنجية من الموارنة . فبؤرة المقاومة والممانعة استطاعت إذن أن تنشئ جبهة عريضة في وجه الأدوات الأجنبية المفضوحة حيث لم يعد الأمريكيون يتسترون على أدواتهم ولم تعد الأدوات تتستر على نفسها . إنهم يحجون إلى واشنطن علنا ويقدسون حجهم في تل أبيب سرا وقد لا يضيرهم كثيرا أن تنكشف أسرارهم على الملأ .

. ولم يكن الانتصار ممكنا لولا هذا التحالف ولولا يقظة حزب الله وجاهزيته على مستوى الشارع البيروتي كما في قرى الجنوب . وهذا التحالف (الصحي) ( الرصين ) ( الحكيم ) الذي تصدى للقوى المدعومة من الخارج هو برهان آخر على المثل الشعبي القائل ( الحجر في محله قنطار ) أي أن القوة المحلية الراسخة في بيئتها تزن في الحقيقة أكثر مما يبدو في الظاهر .

المعركة واحدة في منطقتنا وغرفة العمليات الصهيو . أمريكية المشتركة تضع خريطة المنطقة بكاملها أمامها وتضع تصورا مترابطا للأهداف والمخططات والضربات . وجبهات الصدام متماثلة في الجوهر . وملامحها الأساسية وأنماط شخوصها قريبة بعضها من بعض . ولا يغرق في التفاصيل ولا ينعزل

عن غيره بادعاء التفرد والخصوصية إلا الذين باعوا بضاعتهم المجهزة للبيع للأجانب الجاهزين للشراء .

كان أهم ما في خطاب السيد حسن دعوته الشعوب والأنظمة الحاكمة في المنطقة إلى دراسة استراتيجية التحرير .

وسوف نخاطب السيد حسن من غزة المحاصرة متجاوبين مع دعوته كما هو منتظر منا . ونأمل أن ينتبه وأن يتفكر ويتأمل فيما نطرح كما هو منتظر منه .

الكلام عن استراتيجية التحرير يتطلب . أول ما يتطلب . تصحيح العلاقات جذريا بين السنة والشيعة في هذه المنطقة . فالمبدأ الأول من مبادئ استراتيجية التحرير والعمود الأول من الأعمدة التي تقوم عليها هو وحدة قوى المقاومة والممانعة وبالتالي التحرير .

نحن من المهتمين اهتماما قديما متجددا بهذا ، ومن المدركين أن استراتيجية الاحتلال والاستعمار كانت وما زالت قائمة على ( فرق تسد ) .

والاستراتيجيات تبنى كما يعلم الأخ حسن وكما نتعلم منه : ليس من أهدافنا العليا ووسائلنا الرئيسية وحسب ، ولكن من تفهم الأهداف والوسائل العليا للخصم ثم الرد عليها ضمن الخطوات المحسوبة التي نباشر بها بعد أن تضع استراتيجيتنا تصميمها وتنتقي تكتيكاتها .

ولما كانت إثارة الخلاف بين السنة والشيعة واحدة من ( الاحتياطيات الاستنزافية ) التي يلجأ إليها الأجانب دون توقف على مدى تاريخ المنطقة بغية استنزافها وتلهيتها ، وهم يثيرونه اليوم أكثر من أي وقت آخر لافتعال شق دائم بين إيران والبلدان العربية وتصوير الموقف ( استراتيجيا ) على أن

المعركة القائمة في الشرق الأوسط ليست معركة شعوب المنطقة مجتمعة ضد الاستعمار والصهيونية ولكن معركة السنة ضد الشيعة ومعركة السعودية ومن يؤيدها ضد إيران ومن يؤيدها .. معتمدين على ( نعرة ) جاهزة للتفعيل .. فإن على علماء الأمة ومجاهديها أن يرتبوا أولوية لمعالجة هذا الشرخ . وبالأمس صرح مرجع قيادي في حزب الله أن الخلاف بين السنة والشيعة وهم من الأوهام . وقد أصاب من حيث المنطق والجوهر ولكنني أشك فيما إذا كان صائبا تجاهل ما أحدثه الإعلام الصهيو . أمريكي في طول المنطقة وعرضها ثم رددته بؤر ومصادر مستأجرة خصيصا كي تتلقفه وتكرره كما تفعل الببغاوات . ولم تكن تلك البؤر والمصادر مقتصرة على جوقة الكهنة الطائفيين الذين يحترفون الطائفية ويتعيشون منها ويضيعون دونها ، ولا على أوساط العملاء المدسوسين في أعلى مراكز النفوذ والسلطة في بعض البلدان ، ولا على جيش الهماسين المرجفين التابعين للعدو ، ولكنها تشتمل أيضا على ضيقي الأفق والمتصلبين أصحاب الأمزجة المتشنجة هنا وهناك .

ولا بد من ملاحظة أن السياسة الإيرانية في العراق حتى زمن يسير قد عززت عمليا ما تدعيه دعايات الأعداء قوليا . ففي حين نهض سنة العراق بالأعباء الأثقل في مقاومة الاحتلال حتى زمن يسير فقد تعرضوا على يد بعض إخوتهم الشيعة داخل أجهزة الحكومة وخارجها لحمامات دم أهلية مروعة ما كان لها أن تحدث . وقد كنا من الذين رفعوا الصوت بصراحة وإخلاص عبر كتب مفتوحة إلى السيد خامنئي ثم إلى الرئيس أحمدي نجاد مناشدين ومتوسلين أن تستخدم إيران نفوذها في العراق لوقف هذه الأفعال المدمرة التي لم ينج الفلسطينيون في العراق منها بوصفهم من جملة السنة . ونحن نفهم أن

الأمور قد اختلفت الآن وأن إيران اتخذت في العراق سياسة أقل مهادنة للاحتلال ، وإنما نوهنا لما نوهنا إليه لا لصب الزيت على النار ، ولا لأننا نظن أن بوسعك شخصيا أن تضم صوتك إلى صوتنا في انتقاد ما حدث ، ولكن من أجل الغرض الذي يهدف هذا المقال إليه . وهو التفاعل مع دعوتك إلى استراتيجية التحرير .

ونحن نأمل من سماحتك ومن سماحة السيد محمد حسين فضل الله تطويق الآثار التي نجمت عن سياسات نحسبها خاطئة . وهي بالطبع غير سياساتكم وممارساتكم التي تعزز الروابط وتقود نحو وحدة الصف ووحدة الكلمة ووحدة المجهود الكفاحي . ونأمل استخدام رصيدكم القوي من خلال تبنيكم مبادرات جريئة لتنشيط وتفعيل المواقف والأبحاث والهيئات التي تؤدي إلى التقريب والتهوين من شأن الخلافات قياسا إلى الأصل العقيدي المشترك . لقد وقع تحت يدي ذات مرة كتاب مريب لمؤلف يحمل اسما باكستانيا . والله أعلم بالكاتب الحقيقي ! . يدعي فيه أن إله السنة غير إله الشيعة وكذلك النبي والقرآن والحديث .. الخ ..! وأذكر أنني مررت في حياتي بتجربة طريفة أثناء الحرب في الجنوب اللبناني ذات مرة .. إذ سألت غلاما يرعى الغنم عن انتماء أهالي إحدى القرى القريبة فأجابني ببساطة : كلهم مسلمون ما عدا بيتين سنة !

إلى هذا الحد تصل ضراوة الدعايات المفتعلة التي شكلت ضمير العامة على مدى قرون لا يجهل أحد سببها ولا سبب حماسة المتعصبين لها والمؤكدين صوابها .

والعرب والمسلمون جميعا بحاجة إلى هيئة مكونة من علماء موثوقين مستنيرين يطلعون على الأمة ببيانات علمية تؤكد وحدة العقيدة من ناحية والأهمية الثانوية . لكي لا نقول الضئيلة . للخلافات التفصيلية من ناحية أخرى بين السنة والشيعة . فما دام الجميع لا يمارون في الشهادة بالتوحيد وبالنبوة فعلى الجميع أن يستمسك بالوحدة في مواجهة أعداء الأمة تبعا لوحدة هذه الأصول التي هي لب العقيدة . أما الخلاف حول الأحقية بالخلافة بعد الرسول ، أو حول الوسائل إلى تحصيل مسائل الشريعة وما شابه ذلك من الأمور فلا ينبغي أن تصبح بمثابة ( ثقافة مانعة للوحدة ) ولا يجب أن يكون الحيف الذي وقع على سيدنا علي رضي الله عنه وعلى سيدنا الحسن وسيدنا الحسين باعثا على حمل الغل ضد من يسقط عليهم ضيقو الأفق اعتباطا عبارة ( أحفاد معاوية ) . فحب علي والحسن والحسين وآل محمد هو بدوره أمر مشترك بين المسلمين جميعا وليس موقفا نتفرق عنده . ولا يجب الافتراض بأن أهل السنة والجماعة يحبون معاوية . فالتاريخ السياسي الإسلامي قابل للنقد . وكل ما هنالك أن جدوى النقد إنما تتمثل في دروسه المستفادة التي ننظر إليها بموضوعية دون أن نحمل فؤوسا ننهال بها هدما على الأضرحة والمقابر لأن للتاريخ في حد ذاته حرمة وأدبا لدى الدخول إلى ساحته .

نحن أمة اجتمع لدى لدى كل طائفة من طائفتيها ( خزان ذكريات وعواطف ومفاهيم ) يشبه العقل الباطن لدى الأفراد . ولا أشك أننا بحاجة إلى إجراء بعض التعديلات على محتويات الخزانات المتحصلة من تاريخ الطائفة بشكل يعيد تقريب بعضها إلى بعض . لأن الذي يخشاه المرء أن تظل هذه الخزانات

جزءا من الاحتياطي في متناول أعداء الأمة ، ينبشونه بين الطوائف كلما حبكوا الدسائس التي يلجأ إليها المستعمر لمنع الأمة من التقدم على طريق المستقبل . ولنا الحق أن نخشى أن يكون لهذه الخزانات التي تفرز مفاعيلها في اللحظات العاطفية واللحظات الحاسمة أحيانا أهمية أكبر من مفاعيل العقول الواعية .

يلفت انتباه الإنسان وهو يراجع تاريخ الدولة العثمانية ويقرأ بالمناسبة شذرات من مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني . قول ذلك الرجل الفذ الذي تجرع مرارة النهايات وكان من حظه أن يحصد الأشواك من تجربة القرون : (( عدم وجود تفاهم مع إيران أمر جدير بالتأسف عليه وإذا أردنا أن نفوت الفرصة على الإنجليز وعلى الروس فإننا نرى فائدة تقارب إسلامي في هذا الأمر )) . ولقد قال هذا في نهاية المطاف بعدما حفلت التجربة الطويلة بحروب دامية بين العثمانيين والصفويين في عهود السلاطين : أحمد الأول , ومراد الرابع وأحمد الثالث ومحمود الأول .

كانت تلك حروبا لا لزوم لها استنزفت واستهلكت القوى والتركيز . وكان الآلاف الذين سقطوا فيها خسارة لا مبرر لها . وهذا ما توصل إليه العاقل الذي شهد نهاية الشوط .

ويجب أن يكون هذا درسا على صعيد الدول كما على صعيد الأفكار وخاصة على صعيد ( خزانات العقل التاريخي الباطن ) .

لقد صنعت يا سيد حسن للأمة في زماننا الراهن ما لم يفعله أحد من النماذج المتألقة صدقا وتحررا وإبداعا . وإذا أنت استطعت بمعونة السيد فضل الله من خلال هذا الموقع السامي أن تفتحا مع علماء أجلاء من السنة بابا لثورة ثقافية

تهدف إلى تقريب الطائفتين الكبريين ، فإن ذلك قد يفوق جميع ما صنعتماه من قبل .